مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيَّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنة. فهذه هي الأعمالُ الحسنَةُ والنافعة* أمَّا المباحثاتُ الهذيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّةُ فاجتنِبْها. فإنَّها غيرُ نافعةٍ وباطلةٌ* ورجلُ البدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِض عنه* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قدِ اعتسفَ وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسه على نفسه* ومتى أرسلتُ إليك أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأنّي قد عزمتُ أن أشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأبُلُّوسُ فاجتهِدْ في تشييعهما متأهِّبين لئلاَّ يُعوِزهما شيءٌ* وليتعلَّمْ ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالحةِ للحاجاتِ الضروريَّة حتى لا يكونوا غيرَ مثمرين* يسلِّمُ عليك جميعُ الذينَ معي* سلِّمْ على الذين

إله تام وإنسان تام

في الأحد الواقع في الثالث عشر من شهر تموز أو في أول أحد يليه، تقيم الكنيسة المقدسة تذكار آباء المجمع المسكوني الرابع الذين تقاطروا من مختلف أنحاء المسكونة إلى مدينة خلقيدونية (في تركيا) للدفاع عن إيمان الكنيسة الثابت بطبيعتين كاملتين إلهية وبشرية في شخص الرب يسوع المسيح، وتطلب شفاعتهم كي يثبّت المؤمنين في الإيمان القويم إلى يوم مجيء الرب الثاني المجيد. «أيها الكلمة المحب البشر، يا من هو غير محصور ومنزَّه عن الوصف، إنك لما صرت لحماً من أجلنا، كرز بك محفل الآباء الحكماء الموقر، أنك إلهٌ تامٌّ وإنسانٌ تامٌّ، مثنًّى بالطبائع والأفعال، ومثنًّى بالمشيئة أيضاً، وأنك أنت ذاتك واحدٌ بحسب الأقنوم، فلذلك إذ قد عرفناك إلهاً واحداً مع الآب والروح، نسجد لك بإيمانٍ مغبّطين إياهم» (من صلاة غروب أحد الآباء).

أثناء سعيها إلى بلورة وتثبيت قواعد إيمانها، على مدى القرون السبعة أو الثمانية الأولى للميلاد، واجهت الكنيسة نزاعات وجدالات فلسفية ولاهوتية لعل أصعبها ما كان محوره شخص الرب يسوع نفسه. فبعدما حسمت الكنيسة مسألة ألوهية المسيح ومساواة الإبن للآب في الأزلية والجوهر والكرامة في ختام المجمع المسكوني الأول (٣٢٥)، برزت تيارات جديدة، أصحابها كانوا ممن رفضوا الهرطقات السابقة، تُجادل في طبيعتَي السيد المسيح. سوف نجول فيما يلي، بإيجاز، على أبرز تلك المذاهب لا للدرس اللاهوتي بل لأنها وإن طواها الزمان، ما زالت تتردد عند مُضادي المسيح المعاصرين.

في الـ«أبوليناريّة» (نسبة إلى الأسقف أبوليناريوس) إن شخص المسيح مكوّن من جسد بشري ونفس عاقلة و«الكلمة الإلهي»، بما معناه أن الكلمة عند المسيح حل محل الروح عند البشر، واتحد بالجسد والنفس البشريين. بهذا القول لا يكون المسيح قد اقتبل طبيعتنا البشرية كاملة، أي ما صار إنساناً مثلنا، فكيف له إذذاك أن يخلّص طبيعة لم يقتبلها، وما معنى الفداء إن لم يكن مصالحة الطبيعة البشرية كما هي مع الله؟ ناهيك عن أن اتحاد «الكلمة» بالجسد البشري اتحاداً جوهرياً ينقص من

العدد ٢٠٠٧/٢٨

الأحد ١٥ تموز

أحد آباء المجمع المسكوني الرابع

تذكار القديسَيْن الشهيدَيْن

كيريكس ويوليطة

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السابع

يحبّوننا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين.

الإنـجيل

(متى ٥: ١٤-١٩)

قال الربُّ لتلاميذهِ أنتم نـورُ الـعـالـم. لا يـمكـنُ أن تَـخفى مدينـةٌ واقعـةٌ علـى جـبـلٍ* ولا يــوقَــدُ سِــراجٌ ويوضعُ تحتَ المكيالِ لكنْ على المنارة ليُضيءَ لجميعِ الـذيـن فـي الـبـيـت* هـكذا فليُضئ نورُكم قدَّامَ الناسِ لـيَرَوْا أعمـالكم الصالحـةَ ويُـمـجِّدوا أبـاكم الذي في السموات. لا تظنُّوا أني أتيتُ لأحُلَّ الـنـامـوسَ والأنـبيـاءَ، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمّم* الحقَّ أقولُ لكم إنَّه إلى أن تـزولَ الـسـمـاءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ من الـنـامـوس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يحُلُّ واحدةً مـن هـذه الـوصـايـا الصغارِ ويُعلّمُ الناسَ هكذا، فـإنَّـهُ يُـدعـى صغيـراً فـي ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ ويُعلّمُ فـهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

تأمل

رب قائل يقول: إنَّ كثيراً من المسيحيين لا يحفظون جـمـيـع الـوصـايـا، أفـلا ينفعهم شيئـاً حفظهم لبعضها؟ فنجيب: يحسن بنا لفهم ذلك أن نتذكّر ما

لاهوت الكلمة المولود من الآب قبل الدهور، والمساوي له في الجوهر.

أما نسطوريوس فقد قال بأن شخص يسوع الناصري المولود من مريم ليس هو نفسه شخص الكلمة المولود من الله، وبأن الشخصين اتحدا اتحاداً ظاهرياً وحسب، ومولود العذراء ليس سوى إنسان سكن فيه الله ليكشف ذاته للبشر من خلاله. خطورة هذا الادعاء أنه يقوّض عقيدة الفداء من أساسها، فلا يكون عندها ابن الله هو نفسه المصلوب خلاصاً للعالم، ولا يكون الله «أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»، على حد تعبير يوحنا الحبيب (١٦:٣).

نأتي إلى أوطيخا الراهب القائل بطبيعة وحيدة في المسيح، زاعماً أن طبيعة المسيح البشرية ذابت في ألوهيته ذوبان قطرة الخمر في المحيط، أي إن الطبيعة الإلهية استوعبت البشرية استيعاباً كاملاً فامتزجت الطبيعتان في واحدة هي الإلهية المتجسدة. هنا أيضاً مس سافر بسر الفداء الحاصل بالمسيح يسوع، وهو الذي حمل طبيعتنا بأوجاعها ليمجّدها بالقيامة الظافرة، بعد الطاعة الكاملة على الصليب. أكثر من ذلك، من هو إذاً ذاك الذي مات على الصليب ثم قام، طالما أن الطبيعة البشرية ما عاد لها في المسيح وجود، والإله لا يقوى عليه الموت أصلاً؟

إثر تفشي هذه الآفات التأم سنة ٤٥١، في مدينة خلقيدونية بالقرب من القسطنطينية، مجمع مسكوني ضم زهاء الخمسمئة أسقف للبتّ في ما أسلفنا. في الختام جزم آباء الإيمان القويم أن الطبيعتين البشرية والإلهية اتحدتا كاملتين بلا اختلاط أو تغيّر، بلا انقسام أو انفصال، في شخص المسيح ابن مريم المصلوب والقائم من بين الأموات، وهو نفسه الكلمة الذي «صارَ جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآبِ مملوءاً نعمةً وحقاً» (يو ١:١٤).

إن تمسك الكنيسة بعقائدها ليس اجترارا فكرياً لمعارف عن الله، بل حفظاً لفهم عمل الله الخلاصي، وتثبيتاً لأبنائها على طريق هذا الخلاص. يقول أبونا البار مكسيموس المعترف إن مهمة اتحاد العالم المادي بالعالم الروحاني وتقديسه والارتقاء به إلى الاتحاد بالله كانت في الأساس منوطة بآدم. هذا تمرد فسقط وجرّ العالم المخلوق معه، وصار التباين والانفصال يزدادان بين المادي والروحاني، بين المخلوق وغير المخلوق. هذه المهمة آلت إلى المسيح آدم الجديد، الذي نزل من علياء سمائه يرأب الصدع تلو الصدع حتى «يخلّص ما قد هلك».

باتخاذه الجسد البشري من فتاة عذراء ألغى المسيح التناقض البشري الحاصل بين الرجل والمرأة، بقبوله صليب الظلم بطاعة فائقة وحدّ الرب يسوع بين السماء مسكن الأبرار والأرض موطن المأساة الإنسانية الكبرى. للمصلوب عن يمينه يقول الرب «اليوم تكون معي في الفردوس»، ولا يكف عن ملاقاة تلاميذه طيلة وجوده على الأرض بين القيامة والصعود. وبصعوده بالجسد إلى السماء يجمع السيد بين العالم المادي المحسوس والعالم العقلي الروحاني. هكذا يجمع المسيح الكون بأسره فيه، ويقدّمه إلى الله الآب كآدم كوني جديد، موّحداً بين المخلوق وغير المخلوق.

جرى لبطرس الرسول الذي بعد كل ما أتى من الأعمال العظيمة وكل ما سمع من الثناء والتطويب لأجلها، قد قيل له لأجل غلطة واحدة أتاها: «إن لم أغسلك فليس لـ ك نصيب معي» (يو ٨:١٣). ولا لزوم أن نقول هنا ان بطرس لم يُظهِر بذلك كسلاً أو احتقاراً بل إجلالاً واحتراماً للسيد. إن كنت مؤمناً فاسمع ما قاله السيّد «ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات» (متى ٢١:٧).

ثم انّ من يعمل مشيئة الله، لكن لا كما يشاء الله ولا عن دافع محبة الله، فاجتهاده في إتمام عمله هذا لا يعود عليه بفائدة، بشهادة ربّنا يسوع المسيح القائل: «يفعلون ليظهروا للناس. الحق أقول لكم انهم قد أخذوا أجرهم» (مت ٦: ٥). شهادة تعلّم منها الرسول أن يقول: «اني ولو بذلت جميع أموالي لإطعام المساكين وأسلمت جسدي لأُحرق ولم تكن فيَّ المحبة فلا أنتفع شيئاً» (١كو ١٣: ٣).

على أني أرى أن اختلاف أحوالنا من حيث الالتزام الشديد بالطاعة يكون على ثلاثة أنواع: فإمّا أن نقلع عن الشر خوفاً من العقاب، وحينئذ ننقاد انقياد العبيد. وأمّا أن نحفظ الوصايا لأجل فائدتنا وابتغاء للأجرة، وحينئذ نضاهي الأجراء. وأمّا أن نقبل على الطاعة لأجل الصلاح نفسه وحبًّا لمن المسيح ابن الله الوحيد هو موحِّد ومقدِّس الكائن المخلوق، وفداؤه محطة من محطات تدبيره الخلاصي سبّبتها خطيئة آدم الأول والحقيقة التاريخية لهذا العالم الساقط الذي فيه صار التجسد. مشروع الخلاص ثابت في المشيئة الأزلية للثالوث الأقدس، وإتمام الخلاص يكون بالمسيح الإله التام والإنسان التام، «حسب قصدِ الدهورِ الذي صنعه (الله) في المسيحِ يسوعَ ربِّنا» (أف ٣: ١١).

شهود يهوه والدم

يحمل شهود يهوه معهم بطاقات مكتوب عليها «وثيقة طبية: لا دم». وعلى الوجه الآخر للبطاقة يوجد هذا النص: «توجيه / إعفاء طبي. أنا (فلان)، أوصي بعدم نقل الدم إليّ حتى ولو اعتبر الأطباء ذلك ضرورياً لصحتي أو لحياتي. وأقبل الموسّعات الخالية من الدم (مثل Daxtran ,Ringer's solution or Saline hetastraeh). عمري (كذا) سنة وأجري هذه الوثيقة من تلقاء نفسي. وينسجم ذلك مع حقوقي كمريض ومعتقداتي كواحد من شهود يهوه. يأمر الكتاب المقدس: «أن تمتنعوا عن... الدم» (أعمال ١٥: ٢٨، ٢٩). هذا هو موقفي الديني وقد كان كذلك طوال (كذا) سنة. فأوصي بأن لا يُنقل إليَّ الدم. وأقبل أي خطر إضافي قد يجلبه ذلك. وأعفي الأطباء والخبراء بعلم التخدير والمستشفيات ومستخدميها من المسؤولية عن أية نتائج غير مؤاتية يسبّبها رفضي، رغم عنايتهم الوافية. وفي حال فقداني الوعي أفوّض إلى أي من الشاهدين أدناه أن يكون على يقين من تأييد قراري. (الإمضاء)».

لم يكن موضوع نقل الدم مطروحاً للبحث حين تأسيس جماعة شهود يهوه في أواخر القرن التاسع عشر. لكن بدأ البحث به عام ١٩٥٨ عندما تساءل بعض أفراد هذه الجماعة حول «تسلّم الدم أو عدم تسلّمه». في حينه تُرك الأمر لضمير كل فرد. لكن «تسلّم الدم» صار سبباً للطرد من الجماعة كما أوردت مجلتهم «برج المراقبة» بتاريخ ١٩٦١/٧/١٥ (النشرة الإيطالية). وقد استند أصحاب القرار على بعض آيات الكتاب المقدس التي تحرّم أكل دم الحيوانات: «كل دابَّةٍ حيَّةٍ تكون لكم طعاماً. كالعشبِ الأخضر دفعت إليكم الجميعَ. غيرَ أنَّ لحماً بحياته دمِهِ لا تأكلوه» (تك ٩: ٣-٤)، «كلَّ دمٍ لا تأكلوا في جميعِ مساكِنكم من الطَّيرِ ومن البهائم. كلُّ نفسٍ تأكلُ شيئاً من الدَّمِ تُقطعُ تلكَ النفسُ من شعبها» (لاو ٧: ٢٦ و٢٧)، وأيضاً «لأنه قد رأى الروح القدس ونحن... أن تمتَنِعوا عمَّا ذُبِحَ للأصنامِ وعن الدَّمِ والمخنوقِ والزِّنا» (أع ١٥: ٢٨-٢٩).

واضح من هذه الآيات أن الشريعة تحرّم أكل دم الحيوانات، وبخاصة دم الذبائح المقدمة على مذبح الرب أو مذبح الوثن في تلك الأيام. الهدف من منع أكل الدم في العهد القديم كان القضاء على مفاهيم بعض الديانات الوثنية التي قد يتأثر بها شعب الله بسبب تمازجهم مع الشعوب المجاورة. فأكل دم الذبائح، وربما قتل الأولاد، كان عادة عند الكنعانيين الوثنيين الذين كانوا يقدّمون أطفالهم ذبائح للآلهة. وما قصة إبرهيم مع ابنه اسحق، واستبدال الله اسحق بالنعجة سوى درس لإبرهيم ان الإنسان كريم في عيني الرب. التحريم الوارد في أعمال الرسل كان موجهاً إلى «الراجعينَ إلى الله من الأمم (الوثنيين)» (١٥: ١٩)، وهو تحريم

أعطانا الشريعة فرحين بأن حُسبنا مستأهلين أن نخدم إلهاً هكذا مجيداً وصالحاً، وحينئذ نكون في عداد البنين. فالذي يحفظ الوصايا عن خوف ويخشى دائماً عقاب التهاون، يتمّم كل الأوامر ولا يهمل شيئاً منها، لأنه يتوقع أن يحلّ به هو أيضاً العقاب الهائل المترتّب على كل مخالفة. ومن ثم قيل: «طوبى للإنسان الذي يخشى في كل حين» (أم ١٤:٢٨)، انه يستمر ثابتاً على الحق فيستطيع أن يقول: «جعلت الرب أمامي في كل حين فإنه عن يميني لكي لا أتزعزع» (مز ٨:١٥). وبما أنه لا يريد أن يهمل شيئاً ممّا يجب عليه فيستحقّ أن يطوّبه النبي القائل: «طوبى للرجل الذي يتّقي الرب» (مز ١١١: ١) ولِمَ ذلك؟ «لأنه يهوى وصاياه جداً». لذلك ليس من خصائص المتّقين للرب أن يهملوا شيئاً من الوصايا المأمور بها أو أن يتّهموه بالتهاون. بل الأجير أيضاً لا يسعه أن يهمل شيئاً ممّا أُمر به. وكيف يأخذ أجرة عمله في فلاحة الكرم مثلاً إذا لم يُتم كل الشروط المتّفق عليها؟ فإنّه إن أخلّ بشيء واحد من الأشياء الضرورية يجعل الكرم غير نافع لصاحبه. ومن ذا يعطي فاعل الضرر أجرته؟ – هذا وقد رأينا أنّ الأعمال من ثالث نوع هي التي تؤتى عن محبة.

القديس باسيليوس الكبير

لكل ما ذُبح للوثن وليس فقط الدم. فالمشكلة ليست في اللحم بحد ذاته بل بكونه ذُبح للوثن. وهذا ما يؤكد عليه أيضاً الرسول بولس (١كو ٨). يدّعي شهود يهوه ان تحريم أكل دم الحيوانات هو «لأنَّ نفسَ الجسدِ هي في الدَّم» (لاو ١١:١٧)، «اذبح من بقرِكَ وغنَمِكَ التي أعطاكَ الرَّبُّ كما أوصيتُكَ وكُلْ في أبوابِكَ من كُلِّ ما اشتَهَتْ نفسُكَ... لكن احترزْ أن لا تأكُلَ الدَّمَ لأنَّ الدَّمَ هو النَّفسُ فلا تأكُلِ النَّفسَ مع اللحمِ» (تث ٢١:١٢ و٢٣). هذا ببساطة كلام غير علمي لأن حياة الإنسان ليست في دمه. وإذا كان كلام شهود يهوه صحيحاً فهذا يعني انه كلما جُرح إنسان سالت حياته مع دمه على الأرض، وكلما سُحبت كمية من الدم للمصابين بمرض الضغط فنحن نسحب حياتهم، وكلما أجرى أحدنا فحص دم مخبرياً فإن الحياة تُتلف مع الدم في النفايات. إنه أمر مضحك.

المسيحية بكل تأكيد تمنع أكل الدم. لكن شهود يهوه يدّعون انه لا فرق بين نقل الدم وأكله. يقولون: «أليس صحيحاً أن المريض عندما يكون غير قادر على تناول الطعام بفمه غالباً ما يوصي الطبيب بتغذيته بنفس أسلوب نقل الدم؟ ويأمرنا الكتاب المقدس بالامتناع عن الدم (أع ١٥: ٢٠ و٢٩). فماذا يعني ذلك؟ إذا أمركم الطبيب بالإمتناع عن الكحول هل يعني ذلك حقاً انه لا يجب عليكم أن تتناولوه بفمكم ولكنكم تستطيعون نقله مباشرة إلى عروقكم؟ طبعاً لا! وكذلك فإن الإمتناع عن الدم يعني عدم إدخاله إلى جسمكم مطلقاً» (كتاب يمكنكم أن تحيوا إلى الأبد في الفردوس على الأرض، النسخة العربية، ص. ٢١٦). انه الكلام المضحك المبكي، فالفرق شاسع بين مادة تؤذي الجسد وبين عملية نقل دم تحيي الإنسان. انه كلام خالٍ من المحبة المسيحية الحقة. الرب يسوع تجسد وصُلب وسالت دماؤه فداءً عنا، فقط لأنّه أحبّنا. ألا ننقذ حياة مريض بالتبرّع له بالدم، ولا مجال هنا للمقارنة بين الأوجاع التي تحمّلها الرب على الصليب وبين تبرعنا بالدم ببساطة. مثالنا هو الرب يسوع: «بهذا قد عرَفنا المحبَّةَ أنَّ ذاك وضعَ نفسه لأجلِنا فنحنُ ينبغي لنا أن نضعَ نفوسَنا لأجلِ الإخوةِ» (١ يو ١٦:٣). لقد سأل الرب مرّة الفريسيين الذين كانوا ينتقدونه لأنه كان يريد شفاء يد إنسان يوم السبت وخرق الشريعة: «هل يحِلُّ في السبتِ فِعلُ الخيرِ أو فِعلُ الشَّرِّ. تخليصُ نفسٍ أو إهلاكُها» (لو ٩:٦). لقد علّمنا الربُ بلسان رسوله بولس «العِلمُ ينفُخُ ولكنَّ المحبَّةَ تبني» (١كو ١:٨). المحبَّة تقضي أن نخلّص إنساناً على شفير الموت ولا نتمسَّك بتفسيرات ارتأيناها لبعض الشرائع.

عيد مار الياس

بمناسبة عيد النبي الياس التسبيتي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ١٩ تموز ٢٠٠٧ في كنيسة النبي الياس بطينا وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢٠ تموز ٢٠٠٧ في كنيسة النبي الياس في المصيطبة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb